

## الفصل الثاني الإطار النظري للدراسة

أولاً :- الاتجاهات النظرية المفسرة لبغاء الحدث:

1- التفسير البيولوجي (الاتجاه الوضعي) .

2- التفسير النفسي .

3- التفسير الاجتماعي.

ثانياً :- التطور التاريخي للبغاء

ثالثاً :- تطور الهوية الجنسية لدى الانثى

أولاً :الاتجاهات النظرية المفسرة لبغاء الحدث

1- التفسير البيولوجي (الاتجاه الوضعي) :

نادى أرسطو فيما قبل الميلاد بإمكان التعرف على الكثير من أخلاق الفرد وطباعه بدراسة سماته الجسمية، وخاصة تلك التي تميزه عن غيره من بني البشر، وقد امتدت هذه النظرة إلى علماء الغرب الذين حذوا حذو أرسطو فيما يعرف بالكهانه والعرافة والفراسة وفيما بين عامي 1741م و1828م، إذ حاول البعض

تطبيق أصول علم الفراسة على بعض المجرمين ذاهبين إلى أن الجريمة ضعف خلقي يعود إلى خلل في النمو الطبيعي لأجزاء المخ والدماغ ، كما شبه بعضهم بين الجريمة والجنون، بحيث يرجع الإجرام في حالات كثيرة إلى عوامل فردية أو بيولوجية، ولذا فإن أنصار النظريات البيولوجية في تفسير السلوك الانحرافي والجنوح يرون في العامل البيولوجي بعد أساسي وحاسم في تشكيل الشخصية وتحديد السلوك، بحيث يصبح التكوين الجسماني أو العامل الوراثي أساس لهذا التفسير. (غريب محمد السيد ، 1990 : 21 )

والجدير بالذكر أن لمبروزو رائد الاتجاه البيولوجي في تفسير الجريمة يعد من أوائل الذين وجهوا الاهتمام إلى دراسة وتفسير جرائم النساء ، فقد حاول أن يطبق المفاهيم البيولوجية التي قال بها في نظريته على المرأة المجرمة فاتجه إلى دراسة للمجريات داخل السجون، وتبين له أن لديهن بعض مظاهر الشذوذ في شكل الجسم ، كما أن لهن خصائص فيزيقية تتشابه مع خصائص إنسان العصور القديمة. كما لاحظ لمبروزو أيضا أن النساء للمجريات يمتلكن الكثير من الخصائص الذكورية، فشكل الوجه تظهر فيه صفات رجولية، كما إنهن أكثر وحشية وقسوة وفضاظة من الرجل ، ويتصفن بعدم الرحمة، بالإضافة إلى ما لديهن من قدرة شديدة على احتمال الألم البدني ، ولأنهن غير قادرات على أن يستشعرن الألم فإنهن متبدلات إزاء الآلام الآخرين ، ويذهب لمبروزو إلى أن للتطور الفسيولوجي للمرأة مثل البلوغ والطمث والحمل وانقطاع الطمث في سن اليأس يؤثر بلاشك في إجرامها ، فلقد لاحظ تأخر ظهور الطمث لدى مرتكبات جرائم السرقة والبلوغ المبكر لدى العاهرات. (نجية إسحق ، 1988 : 37 )

ويذهب أصحاب الاتجاه البيولوجي في تفسير البغاء إلى أن البغي قد أهدت في الواقع وأعدت سلفاً لهذا المستقبل الانحرافي عن طريق تكوين بيولوجي خاص

يميزها عن غيرها، وما الأحوال الاقتصادية أو الثقافية إلا مجرد مثيرات أو منبهات لهذا الاستعداد أو الميل التكويني الكامن .

(سامية الساعاتي ، 2005 : 220 - 221)

وعلى الرغم من الانتقادات الموجهة إلى النظرية البيولوجية إلا أنها نمت وترعرت في رحاب علم الإنسان "الأنثروبولوجيا الاجتماعية"، وهو العلم الذي يعني بدراسة الأجناس والسلالات ، للوقوف على الخصائص الثقافية وأنماط الحضارة في كل مجتمع أو جماعة، وقد تفرع علم الأنثروبولوجيا إلى فروع عديدة منها Criminal Anthropology، وهو فرع ينشأ حديثاً ويعني بدراسة التاريخ الطبيعي للمجرم انطلاقاً من تكوينه العضوي Anatomical، وقد نهض هذا العلم على جهود علمية تجريدية معملية لعينات من عتاة المجرمين ونزلاء المؤسسات العقابية ومن في حكمهم، لذا يطلق على هذه المدرسة اسم المدرسة الوضعية Positive School نظراً لاعتمادها على المنهج العلمي في دراسة الإنسان.

(حسن إسماعيل عبيد ، 1993 : 15)

#### 1- التفسير النفسي :-

لقد ظهرت الاتجاهات النفسية في تفسير البغاء لتحل محل الاتجاه البيولوجي، الذي رأي البغي على أنها امرأة ذات طبيعة جنسية مفرطة، وترتبط التفسيرات النفسية للبغاء بوجه عام بالنظريات الفرويدية، وبالفرويدية الجديدة عن الجنس والتي شاعت خلال تلك الفترة ، ويقوم التفسير الفرويدي للبغاء أساساً على صراع الطفولة .

هذا ويذهب جلوفر إلى أن اختيار المرأة للبغاء مهنة لها يتحدد ببواعث جنسية تكمن في الطفولة المبكرة. للبغي .

(محمد عارف ، 1986 : 26)

ففي تتبعنا لتطور الحياة الجنسية لدى الإنسان وبلوغها شكلها التناسلي الناضج، وجدنا ثلاثة معالم مهمة تحدد بلوغ هذا الهدف ، هي :-

1- إن النشاط الجنسي يقف وسط بين دفعتي الحياة والموت للفرد ليحقق الفرد اتزاناً بين غريزتي الحياة والموت.

2- إن النشاط الجنسي التتاسلي نقطة لقاء بين شق ليبيدي خالص وشق وجداني ذي أصل ليبيدي تحول إلى علاقة وجدانية. ففي ممارسة الجنس يطالب الشخص السوي بمتعة حسية من موضوع ليبيدي يرتبط به انفعالياً.

3- إن العلاقة الجنسية السوية بين الرجل والمرأة تقوم في شكلها الأساسي على رغبة الرجل في المرأة وموافقة المرأة للرجل في اختيارها. أما في مضمونها فإنها تنتهي ولا تبدأ بالمتعة من الجسد مباشرة.

ومن الغريب حقاً أن البغاء هو علاقة جنسية لا يحقق لها أي اتزان من هذه المعالم الثلاثة الأساسية ، فإذا تناولنا طبيعة المنح الجنسي للبغي وجدنا أنه لا يحقق لها أي اتزان بين نزعتي الحياة والموت فيها ، ويخرج عن وظيفته هذه ليؤدي وظيفة أخرى (كسب المال) التي يمكن تحقيقها بوسائل عدة. فالبغي ورغم ممارستها الجنس كوظيفة ، محرومة ، أو تحرم نفسها من النتائج النفسي لهذه الوظيفة.

فالجنس في البغاء يمارس بالبغي ولكنه يقوم ، لا لخدمتها النفسية ، بل لخدمة الآخر (العميل) لذلك لا يعد الجنس في البغاء ذا وظيفة نفسية وعلى الأقل بالنسبة للبغي بل يتحول إلى مهنة.

ويمكننا أن نزيد الأمر أيضاً يتناول الفكرة ذاتها من زاوية أخرى. إن المرأة السوية ترضى بالمتعة الجنسية لحاجتها إلى الإشباع وتمنح نظير متعتها أما البغي فترضى بالمتعة الجنسية للعميل ولا ترضاها لنفسها.

وإذا انتقلنا إلى علاقة الجانب الجنسي الحسي بالجانب الوجداني للجنس يتبين أن البغاء فعل يلزم البغي بعدم إيجاد صلة بين الجانبين. فممارسة الجنس دون تمييز بين الممارس معهم يحول دون انتقاء الموضوع الجنسي. فانتقاء الموضوع الجنسي يعني شحنة ليبيدياً والارتباط المستمر به وجدانياً وقد أوضح فرويد أن

الحب قد يكون أصلاً ذا طابع حسي فينتهي بمجرد خفض التوتر الجنسي ولكن استمرار التعلق الليبيدي يجعل الرغبة الحسية تتجه دائماً نحو نفس الموضوع ، فمن الناحية العلمية فالبغاء لا يتماشى مع التعلق الوجداني بالموضوع الجنسي مع متطلبات البغاء كمهنة. (أحمد فائق ، 2001 : 384 - 385)

الأمر الذي يدفعنا لأن نتطرق إلى مراحل النمو النفسي الجنسي حتى نتبين كيف تتم وتتفاعل العمليات النفسية لدى الفرد ؟ ، وكيف تؤدي إلى أنواع مختلفة من السلوك يوصف بعضه بأنه سوى ، و بعضه الآخر بأنه غير سوى.

### مراحل النمو النفسي الجنسي : Psychosexual Development

يصل الطفل إلى العالم مخلوق ضعيف لا يملك من مقومات حياته سوى أجهزة بدنية في حاجة دائمة إلى النمو والعناية والتدريب، وهو بجانب ذلك يملك كما يملك البالغ الكبير بعض الدوافع أو الحوافز الداخلية التي تدفع به إلى العمل، بحيث تصبح جميع أنواع سلوكه استجابة لهذه الدوافع التي ترجع إلى تكوينه البيولوجي، والتي تظهر في الحاجات المختلفة للأنسجة كالحاجة للطعام والماء والأكسجين وغيرها من الحاجات الوقائية ضد الأخطار الضارة بكيانه، وعدم إشباع هذه الحاجات يخلق حالة مؤلمة من التوتر، وعدم الشعور بالتوازن والأمن ، وتزداد هذه الحالة كلما اشتد إلحاح الدوافع وزاد ضغطها، وتظل كذلك حتى يتم الإشباع، أو يجد الكائن لنفسه طريقاً للتخفف من هذا التوتر، واستعادة التوازن.

(سعيد مغربي ، 1960: 81)

### 1- المرحلة الفمية Oral Stage:

عندما تبدأ حياة الوليد يكون جهازه العصبي والحركي من المفاجأة بحيث لا يكفلان له حرية التعامل مع الواقع، ونقصد بواقع الطفل في تلك السن ما يقع على حواسه من تأثيره، لا يفرق بينه وبين ما يأتيه من الخارج، أو ما تنتشره أعضاؤه

الحشوية ذاتها ، ولعل أجل ما يقع على حواس الطفل من تأثير هو ألم الجوع، فآلم الجوع في الأيام الأولى يحتل مصدر الصدارة لكونه أكثر المشاعر تكراراً، ولكونه الوحيد تقريباً، ولعل أهم ما يميز ألم الجوع في تلك السن هو أنه يأخذ صفة الخطر الخارجي ، وقد تناولت كلاين Klein تلك للنقطة تتاولا مباشرا من زاوية ما يقابل العالم الخارجي لدى الطفل ، أو ما نسميه بالعالم الداخلي بأنه يتكون من الموضوعات، وأولها الأم التي يبتلعها الطفل بطرق متباينة في المواقف الانفعالية، ويغيش الطفل في خياله عالم إما طيب أو سيئ ، وإحساسه بالطيب هو إحساسه بالذات وإحساسه بالآخر، فالأم للطيبة التي يستمتعها الطفل لتكون له عالمه الداخلي تصبح صورة الذات ، وأي إحساس شخصي يمارسه الطفل في خله ، فإذا ما أحس بجوع واستجابت أمه لذلك بإشباعه، أسقط عليها شعور بالطيبة وللحسن ليخلقها من جديد في كل مرة وعلى صورة ذاته ، فإدراك الطفل لذاته يقوم أولاً على استدماج الآخر حيث يكون ذلك الاستدماج بداية لشعور ما، فإذا ما ساءت ثقة الطفل في أن مصدر الإشباع لن يعطيه مسافة يخلق أمه بوصفها حارمته ما يريد.

( أحمد فائق ، 2001 : 192- 194 )

والمرحلة الغمية يتبعها ربطها بمشكلة الإدراك الحسي ونمو للوعي بالعالم الخارجي متمايز عن الذات، فيميل الأطفال لأن يكتشفوا ويبتلعوا الأشياء عن طريق الفم، فمنذ الشهور الأولى يسير الحب والتخريب جنباً إلى جنب، وتكون الاستجابة البدائية للإدراك الحسي للعالم الخارجي هو ابتلاعه وجعله جزءاً من الذات ، ويكون اتجاه الطفل في المرحلة الغمية المبكرة سلبياً متقبلاً، وعندما تبدأ الأسنان في الظهور ويسمح التضج العام للجهاز العصبي بتحكم أكثر في منبهات يدخل الطفل المرحلة الغمية السنادية.

(عزت إسماعيل ، عبد الله غلوم ، منشور بدون تاريخ : 38)

ومن ثم فإنه إذا كانت الأم جارمة الطفل ما يريد ، غير مشبعة لحاجاته ورغباته فإنه في المرحلة السادية سوف يتجة نحوها بقدر كبير من العدوان ، أما إذا كانت الأم مشبعة لرغبات طفلها تعطيه ما يريد من طعام وحب ويوجد توازن بينهما فإنه سيبتجة نحوها في المرحلة القمية السادية بقدر كبير من الحب ، أما إذا كانت علاقة الأم بوليدها في تلك الفترة تتراوح ما بين الحرمان والاشباع تصبح الأم موضوعاً لكل من إتجاهات الحب و للعدوان ، وهذا ما أطلق عليه فرويد Freud للثنائية الوجدانية ambivalence ، ويكون المحور الأساسي في المرحلة القمية السادية هو الغم، وأسلوب التعامل هو الإنماج التدميري بالأسنان لموضوع الحب (تناقض عاطفي) ، وفي هذه المرحلة يمكن القول بأن جميع عمليات الطفل الحسية والحركية تعض على العالم الخارجي ، وتنتزع منه لتحفظ بما تنتزعه، وهذه السادية تجد ما يدعمها في التوترات الناشئة عن التسنين، وفي الإحباطات الناشئة عن اللطام، وفي الصراعات المنصلة بتحقيق الرضاة دون عض ، وتعمل مشاعر النعمة على الأم وأحاسيس الغضب الكظيم العاجز على دخول المازوشية إلى المسرح إلى جانب السادية وتتميز هذه المرحلة إذن بتناقض العاطفة 0 (سامية القطان ، 1979 : 143)

وفضلاً عن ذلك فلا ينبغي أن يغيب عنا أن الانماج ليس بتدميري إلا بشكل ثانوي ، فطبيعتة التدميرية الموضوعية تخدم أغراضاً ذاتية ، فالنزعات العدوانية الأولى إزاء الموضوعات التي تجلب ألماً أو تمنع لذة ليس قوامها بلع الموضوعات بل بصقها خارجاً، وما يزال محل جدال ما إن كان نفس الموضوع الذي جلب الإشباع مرة ثم منعه بعد ذلك يمكن أن نتعرف عليه الأنا الأولية على أنه موضوع واحد ، والأرجح أنه يوجد في البداية تصوران مختلفان لموضوع حسن يرغب الكائن في امتلاكه بالابتلاع ثم بعد ذلك فقط يرغب في تدميره بالابتلاع . (لوتوفنيخيل ، ج 1 : 1969 : 103 )

فإذا كانت الأم مشبعة لحاجات طفلها فإن ذلك سيخلق في نفسه إحساساً بالاطمئنان والثقة في أن الجوع سينتوّه إشباعاً ، أما إذا كانت الأم غير مشبعة لحاجات طفلها غير مبالية بنداّته فإن ذلك يخلق في نفس للطفل حالة مؤلمة من الحرمان وتسوؤ الثقة في مصدر الإشباع ، ومن ثم فإنه يعيش في خياله عالماً مكفهرأ وضاراً وعلى شاكلة الموقف للمتأزم ستأخذ للذات صورتها في للمراحل التالية .

## 2- المرحلة الشرجية : anal stage

في هذه المرحلة يدرك الطفل ما لعملية التبرز والتبول من أهمية تبدو على أمه كلما قام بفعل أى منها ، إضافة إلى مشاعر مشوبة باللذة أو الألم نتيجة لتجمع الفضلات في خارجه، ويدخل في نطاق تعارض مشاعر اللذة مع رضاء الآخر واتفاق الألم مع هذا الإرضاء، ويتكون من جراء ذلك موقف رباعي يشق على ذاته أن تتفهمها ممسكة بالأطراف جميعاً ، إلا أن ما اكتسبه في المرحلة للغمية من استمرار لنواة الذات والعلاقة بالآخر يعينه على عدم الفرار من الموقف المشكل ، فلقد تكونت لدى الطفل في تلك المرحلة علاقة مع موضوعات جعلته يتعين فيها أولاً بصورتها الحسنة أو الرديئة، ثم أمكنه أن يتعين بها، ليكتسب إحساساً بالحسن أو الرداءة ، فإذا ما أدرك ما للمرحلة الشرجية، وقيمه الإفرزات استغل الإحساس بالحس ليعين به إفرازه باعتباره جزء من الذات بدلاً إياه بالقم كوسيط للعلاقة بالأم 0 (أحمد فائق ، 2001 : 205 - 206)

وبما أن المتعة تشتق من إخراج البراز والألم يشتق من الإبقاء عليه ، يمكن للباحثة التوصل إلى إستنتاج مؤداه أن تأجيل اللذة ، ثم الإشباع يرتبط بما قد يبدو على وجة الأم كلما قام بفعل أى منها ، فالأم المتفهمة لعجز طفلها والمشجعة على إطلاق برازه تساعد على التخلص من التوترات المصاحبة للإبقاء، مما يجعله فيما بعد شخصاً قادراً على الإنتاج والعطاء بسخاء ، أما الأم الغير قادرة على تفهم عجز طفلها، وتستخدم أساليباً قاسية في تدريب طفلها على النظافة فإن ذلك يجعله

فيما بعد شخص غير قادر على الحب و الإنتاج ، بينما يعمل دائماً على إبقاء مشاعره بداخله ، خشية أن تتعارض هذه الرغبات مع رضاء الآخر مثلما كان يفعل فيما مضى .

### 3- المرحلة القضيبية : phallic stage

إن أول شعور يخبره الطفل بعد تخليه عن ترجميته وتوجيه حبه إلى الموضوع هو شعوره بالخيرة من ذلك الموضوع، ويعود شعوره هذا إلى إدراك أن أمه تمتلك من المميزات والإمكانات بما فيها ذاته، مما يثير إعجابه بها، ووده لها لو كان له مثلها أو لقتهاها هي ليصبح موضوع إعجاب ، و في أثناء ذلك الاهتمام بالأم ، وبما تمتلك ينتبه للطفل إلى الأب بوصفه شخص يمتلك مزايا وإمكانات تكافئ إن لم تكن تفوق ما لدى الأم، وإن عليه كي يحصل على الأم أن يناقض الأب عليها وإن يستخلصها لنفسه منه . (أحمد فائق ، 2001 : 216 - 218 )

فإذا كان الثبات الغلمي على أمه يشكل بالقل شرط لتصفية الأوديب فعلى للصبي أيضاً أن يتخلى عن كل موقف إغرائي تجاه المناقص - الأب ، وقد يحدث أن تلقى عقده أوديب انعكاساً ، وأن يصبح الأب بعد نوع من التأنيث موضوعاً تنتظر ميوله الجنسية الإرضاء ، وفي هذه الحالة يشكل التماهي بالأب مرحلة أولية يجعل الأب موضوعاً جنسياً... ومن السهل التعبير عن هذا الاختلاف بين التماهي بالأب ، والتعلق بالأب كموضوع جنسي بالصيغة التالية: في البدء الأب هو ما نريد أن نكون ، وفي الحالة للتانية هو ما نريد أن نمتلك ، إن عقدة أوديب يمكن اعتبارها هي المؤسسة للحياة النفسية، ولكن أيضاً النقطة للعقدة التي تترتب حولها العلاقات التي تبني العائلة . (فيكتور سميرنوف ، 1982 : 193 )

بمعنى آخر يتجه الطفل إلى أمه ولكن بقضيبه، يريد أن يخترقها، ويريد أن تكون له وحده نون شريك، وهنا يحدث تناقض وجدائي تجاه الأب فهو يحبه ولكنه في نفس الوقت يكرهه كمنافس له في الأم، وعندما يدرك للفرق بين الجنسين ،

يشعر بالخوف على قضيبه، ويخشى أن ينزل به نفس العقاب الذي نزل بأخته - أي الخساء - كعقوبة على رغبة في العدوان على أمه بالقضيب، و انقاذا لقضيبه من الخساء يتنازل عن أمه متجها بحب زائف و سلبية مفتعلة إلى أبيه يتوحد معه، فيأخذ عنة قيمه و اتجاهاته، و ينتج عن هذا الاستنخال نشأة الانا العليا .  
( سامية اللقطن ، 1979: 145 - 148 )

أما إذا انتقلنا إلى تطور الشعور بالذات لدى الطفلة الأنثى وجدنا الأمر مختلفا، فبينما كان وصف فرويد Freud للنمو النفسي الجنسي لدى الذكور مقبول بشكل كبير ، فإن وصفه للنمو الجنسي لدى الإناث أثار العديد من الشكوك والخلافات 0  
(Lester H – Friedman, 1985: 569)

ويعتقد فرويد أن البنات لا يحلون عقدة أوديب بطريقة الأولاد لأنهن ليس لديهن خوف شديد من الإخساء الذي يدفع الأولاد إلى حل أسرع ومحدد كامل وعن طريق التوحد بالأب، فبالنسبة للبنات يرى فرويد أن الإخساء قد تم بالفعل لذلك فإنه لا يوجد تهديداً حالياً أو مستقبلاً و لكنه أمر واقع .

( روبرت دي ناي ، 2001 : 63 )

إن الحل السوي لعقدة أونيب الأنثوية تتمثل في أن تتخلى عن تعلقها اللبيدي بالأب وتتجه إلى الأم لتتخذ منها مثلاً يحتذى به لتقلدها، وتتخلى عن رغبتها في القضيب لتحل محله رغبة أخرى، وهي أن تحصل على الأولاد من حامل القضيب كبديل تعويضي عن عدم الحصول على القضيب .

لكن إخفاق التسوية للقضيبيية لا يؤدي دائماً إلى الجنوح دون غيره، إذ الأعصاب النفسية أيضاً قد تتجم عنه، فلماذا كان الأمر كذلك ؟، لماذا كان هذا الإخفاق يؤدي إلى العصاب؟، و يؤدي آخر إلى الجنوح ؟، وما هو العامل أو الشرط الأساسي الذي يحدد هذا الافتراق ؟ ، ثم إذ آل الفرد إلى الجنوح فلماذا كانت هناك جرائم يلتمس أصحابها من ورائها العقاب ؟ ، وكذلك هناك أخرى يذهب مرتكبوها

إلى حد إقامة العدل؟، لماذا كانت هناك جرائم هي المسماة جرائم الأنا العليا؟، و أخرى هي جرائم الأنا؟، هذه بعض الأسئلة التي لا تزال تشغل إهتمام المحللين النفسيين . (مصطفى صفوان ، 2007 : 88 )

الموقف الأوديبى من وجهات نظر متعددة :-

### (1) إسهامات كلاين Klein :-

" معظم مدارس التحليل النفسي تفتي أثر الأعمال الفرويدية في تحديد مصادرهما، إلا أننا نجد آراء كلاين Klein للعيادية متباينة إلى حد ما عن آراء فرويد Freud ، فلقد قدم فرويد الموقف الأوديبى المبكر كعامل أولي لاشعوري في حالة رجل الذئب، والذي كبت المشهد الأول الذي شاهده في سن 19 شهر، ذلك المشهد هو العلاقة الجنسية بين أمه وأبيه ، والذي أدرکه بوصفه فعلا عدائيا، والذي أصبح مرتبطا بالاتجاهات السادية Sadism في حياة رجل الذئب.

هذا ولقد تأثرت كلاين بفكرة المشهد الأول وذلك في تحليلها لحالة إرنا والتي كانت تبلغ من العمر 6 سنوات ، ومنما لاحظ فرويد في تحليله لحالة رجل الذئب ، نجد كلاين تشير إلى أن مشاعر البغضاء لدى إرنا كانت نتيجة لمشاهدتها العلاقة للجنسية بين والديها ، ومن ناحية أخرى فقد وجدت كلاين إن مشاعر إرنا الشريرة ترجع إلى الحسد القمي للأعضاء للتاسلية ، والإرضاء القمي التي كانت تعتقد أن والديها يستمتعون به خلال لقاءاتهم، ومن ثم يمكننا القول بأن مشاعر البغضاء لدى إرنا تعد استجابة حسودة للمشاعر الناجمة عن تخيل المشهد الأول بشأن الاتصالات اللانهائية للوالدين، فلقد كانت مشاعر البغضاء لدى إرنا نتيجة مترتبة لما قد تعرضت له من فقدان وإهمال وحرمان من قبل الوالدين، إذ أدركت كلاين مدى ارتباط بداية الصراع الأوديبى Oedipus Conflict بصعوبات فقدان الأولى للموضوع، مما دفعها إلى تقديم فهمها عن بزوغ المخاوف الاكتئابية المبكرة مع بداية الوضع الاكتئابى Depressive situation ، إن الحقيقة الأكثر أهمية في

حدود علاقة الطفل بالموضوع هي قبول الأم كوجود منفصل عن الطفل، هذا بالإضافة إلى نمو الوعي بوجود علاقة بين الأم والأب تلك التي يستتق منها الطفل أن مثل هذه الخبرة بالعلاقة الوالدية يستدخلها Internalization الطفل، وهذا ما أطلقت عليه كلاين التوحد مع النموذج الوالدي Combined with parental figure، والذي يمكن الشعور من خلالها أنهما زوجان مبدعان أو زوجان خطران يميلان إلى تعذيبه، ومن ثم فإن كلاين تؤكد على أنه مع بداية النصف الثاني من السنة الأولى من عمر الطفل فإنه يتقدم إلى عالم ثلاثي، وبالتالي فإن علاقة الطفل المبكرة بالموضوع الجزئي Part object تكون في مقابل قضيب الأب، وهذه العلاقة تتأثر مباشرة بثدي الأم، فإذا كانت تلك العلاقة مشبعة فإن الإشباع يدفع الطفل أو الطفلة للبحث عن الأب مع وجود تخيل أن الراحة الشهوية التي كان يجدها في ثدي الأم سوف تتحقق من خلال علاقته أو علاقتها بقضيب الأب 0، ومع ذلك فإن بداية العلاقة بالأم تكون على قدر عالي من الصراع، ومن الممكن أن يسعى الطفل للحصول على الإشباع من الأب، والذي يتعارض قضيبه مع تخيلات أمثلة الثدي، ومن ثم فإن وصول الطفل إلى العقدة الأوديبية مع بداية الوضع الاكتيabi Depressive situation، واكتشاف خطر الانفصال عن الأم وارتباطها بالأب مما قد يثير في نفس الطفل الأسى والحزن".

(Lawrene j – Brown, 2002: 237 – 239)

" إن خبرات الإشباع والإحباط المتكررة تعد بمثابة مثير قوي للدفعات التدميرية والليبيدية للحب والكراهية، ويقدر ما كان الثدي مشبعاً يكون محبوباً وجيداً، ويقدر ما كان مصدراً للإحباط يكون مكروهاً وسيئاً، وينبع هذا التناقص بين الثدي الجيد والثدي السيئ عن عدم تكامل الأنا، ومن عمليات إنشطار الموضوع في الأنا، بالإضافة إلى خبرات الإشباع والإحباط التي تنتج عن عوامل خارجية تساهم في عمليات نفسية داخلية مثل الاستمماج والإسقاط في العلاقة الثنائية بالموضوع الأول، فالطفل يسقط دفعات الحب على الثدي المشبع (الجيد)، كما يسقط الدفعات

التدميرية خارجيا على الثدي المحبب (السيئ)، ويعد اجتماع مشاعر الحب والدفاعات التدميرية تجاه موضوع واحد - الثدي - من الأسباب التي تزيد من حصر الاكتئاب والإحساس بالذنب تجاه الموضوع المحبوب، وهذا يعني أن الثنائية الوجدانية تتجه في بعض الأحيان إلى الموضوع الجزئي (ثدي الأم)، وخلال الشهور القليلة الأولى من الحياة تكون حالات التكامل قصيرة المدى، وقدرة الأنا لا تزال محدودة لإنجاز عملية التكامل هذه، وفي ذلك تتدخل قوة حصر الاضطهاد، وعمليات الانشطار التي تكون في نروتها، ويتقدم عملية التكامل للانفعالات المتضادة تجاه الموضوع في إمكان الليبيدو تخفيف الدفاعات التدميرية، وذلك يؤدي إلى النقصان الفعلي للحصر، مما يعد شرط أساسي للنمو السوي".

(منار سليمان عبد الماجد ، 1999 : 40 - 43)

" إن ظهور الوضع الاكتئابي ينبغي أن يتضمن التسليم بوجود الموضوع المهيمن Object sovereign ، باختصار فلقد قدمت كلاين بدقة الربط بين الظهور المبكر للعلاقة الثلاثية وموقف الحرمان بالنسبة للطفل الصغير ، هذا ولقد أشارت كلاين إلى أن عملية الفطام لا تثير فقط مشاعر فقدان والحرمان، ولكن كذلك استئارة تخيلات إشباع للعلاقة بين أمه وأبوه، تلك التي يستثنى منها الطفل، فلقد أكدت كلاين على أهمية عملية الانفصال عن الأم، وذلك عندما قدمت الوضع الاكتئابي ، حيث أن الوعي بعملية الانفصال يرتبط بإدراك العلاقة القائمة بين الأم والأب.

## (2) الدراسات النشوية : Developmental study

لقد أثار كل من بيرجمان **Bergman** ، باين **Pine** ، ماهلر **Mahler** إلى أهمية الأب كآخر موجهة غير مفسد يساعد الطفل على التحول إلى مرحلة الانفصال ، وذلك من خلال ظهور الأب في العلاقة الثلاثية.

هذا وقد أكد هيرزوج **Herzog** على أن هناك نوعين من النزعات والتي تبدأ في الظهور في العام الأول.

1- النزعة للتكامل البدني: تعزى هذه النزعة للنموذج الأمومي، وتتضمن هذه النزعة التفاعلات للعاطفية ، ويكون ذلك متوازياً مع بداية ظهور العاطفة لدى الطفل.

2- النزعة إلى التمزيق: تعزى هذه النزعة إلى النموذج الأبوي ، ويظهر نوع جديد من التفاعلات التي تستثير في نفس الطفل عناصر جديدة.

(حيث أن الطفل أو الطفلة في سبيله لامتلاك الأم تكون لديه رغبة لاستبعاد الأب والتخلص منه ، وتكون لديه أو لديها نزعة لتمزيق قضيبي الأب الأكبر ، وذلك على اعتبار أن الفتاة تتجه في البداية نحو الأم على اعتبار أنها تمتلك قضيبي صغير، وذلك قبل أن تتكشف الفروق التشريحية بين الجنسين).

هذا وقد افترضت كل من شامبرا **Shampra** وأبريش **Upprecht** وجود حاجة ولادية لنوع خاص من العلاقة الثلاثية، تلك التي لا تشمل على الأب في البداية، حيث أن الأم تضع نفسها كحضور ثالث بين الطفل وواقعه، وإذا لم تتمكن الأم من تحقيق ذلك فإنه من المحتمل أن يدعي الأب عندئذ كطرف ثالث فعلى حتى يتولى أمر هذه الوظيفة بالنسبة للطفل ، إن مثل هذه الحاجة لإيجاد نموذج ثالث قد يدفع الطفل إلى إيجاده بالقوة ، ويؤكد روبريش **Rupprech** على عبارة إيجاده بالقوة ليؤكد على الحاجة المتأصلة في الطفل الصغير لمثل هذا الموقف الثلاثي.

(Lewrene J. Brown, 2002: 280-286)

## Social and biological views

" تكشف الأبحاث الاجتماعية والبيولوجية والتحليلية النفسية التي أجريت على

إتيان المحارم Incest عن وجود وجوه اختلاف، وذلك عند مقابلة العقدة الأوديبيية عند فرويد بفروض ويسترن مارك **Wister mark** ، فلقد أشار ويسترن مارك إلى أن الطفل الذي ينشأ في إطار حميم من الارتباط فإن ذلك يؤثر في نفسه كره ونفور لإقامة علاقة جنسية مع أي هؤلاء الأشخاص في مرحلة الرشد. ، هذا ونجد أن الكتابات البيولوجية والاجتماعية تنكر صحة نظرية فرويد **Freud** وذلك فيما يتعلق بالرغبات الجنسية الموجهة نحو المحارم في مرحلة جد مبكرة من العمر، ولم يكن غريباً على فرويد أن يتعرض لمثل هذه المسألة الخلافية، فلقد كانت نظريته عن العقدة الأوديبيية ضمن هذه الأمور الجدلية الخلافية التي كانت تغلف فكرته عن الجنسية الطفلية **Infantile sexuality** والصراع اللاشعوري ، لقد كانت عقدة أوديب نواة للنمو النفس الجنسي وتكوين الأعصاب. ، وتعتقد مثل هذه الانتقادات الموجهة إلى التحليل النفسي بضعف مكانته النظرية وذلك نتيجة لغياب الدليل الأمبريقي (التجريبي) والصدق العلمي، هذا بالإضافة إلى أن هذه الانتقادات تلوم فرويد على إخفاق مزاعمه عن تخيلات الإغواء الجنسي، فبالرغم من أن فرويد تعامل مع مثل هذه التقارير التي يسردها المرضى على علتها (الإغواءات) إلا أنه اكتشف فيما بعد أن مثل هذه التخيلات ترجع إلى رغبات جنسية لاشعورية محرمة تجاه الأقارب لم تتحقق بعد ، هذا ويعترف أصحاب النظرية الاجتماعية للبيولوجية أن علمهم يعد محاولة مبكرة لتحديد سبب اهتمام نظريات علم النفس بالغريزة **Instinct**، هذا ولم يؤكد فرويد على أن الدوافع الجنسية للطفلية تكون موجهة منذ البداية نحو الموضوعات المحرمة ، حيث أن الغريزة الجنسية لا تكون موجهة منذ البداية تجاه موضوع محدد، فالدوافع الجنسية البدائية تكون موجهة نحو استثارة اللذة من المناطق الحسية بدلية بمسار الشفاه خلال عملية للرضاعة مروراً بالفرج خلال التكريب على النظافة وصولاً إلى المنطقة التناسلية وذلك خلال عملية للتبول

والتلاعب بالأعضاء التناسلية ، إن محاولة إيجاد موضوع للرغبة الجنسية يبدأ في الطفولة الباكرة، ولكنه يكتمل في المرحلة الأوديبية، وأي شخص يستثير انتباه الطفل يصبح هدفاً لانتهائي للاستثارة والإشباع الجنسي ، حيث أن هذا الشخص يكون له علاقة مباشرة بالطفل، ويكون بينهم وبينه صلة دم ، وعلى وجه الخصوص الأم أو الأخت، ويصبحون موضوعاً للرغبة الجنسية. ، ولم يقتنع أنصار ويسترمارك بوصف للموقف الأوديبى في الطفولة الباكرة، وما يترتب على ذلك من توجيه دوافع النشاط الجنسي نحو الموضوعات المحرمة، وعضواً عن ذلك فاقصد أكدوا على فروض مارك القائلة بأنه لدى كل من بني البشر والحيوان كرة فطري للاتصال الجنسي بالمحارم، ذلك الموضوع الذي يفجر من خلال الارتباط الحميمي في مرحلة الطفولة ، وترى نظرية علم الاجتماع البيولوجي أن اعتزام اختيار الرفيق تكون موجودة أكثر لدى الحيوانات ، وأن النشاط الجنسي الموجه نحو الوالدين في مرحلة ما يعمل كنموذج يساعده على اختيار الرفيق الجنسي فيما بعد.

معنى ذلك أن نظرية علم الاجتماع البيولوجي تعد متوازية مع نظرية التطور الأوديبى ، وذلك فيما يتعلق بأن الخبرات الوالدين المبكرة تسهم في تشكيل النموذج الذي سوف يتم على غراره اختيار الشريك الجنسي والعلاقات العائلية ، وذلك في مرحلة لاحقة 0

ويرى فيريرين **Ferbirn** أن الشيء الجديد في الموقف الأوديبى هو الانتقال من مستوى العلاقة الثنائية إلى مستوى العلاقة الثلاثية ، وأن مثل هذا الانتقال من الممكن أن يتضمن زيادة الوعي بالرغبة الجنسية.

ولقد حاول كوهوت **Kohet** أن يميز بين عقدة أوديب التطورية ، وعقدة أوديب المرضية ، فمن خلال حضور أبوين ملائمين فإن ذلك يعكس موقف أوديبى يخبر من خلاله الطفل العطف والقبول وذلك من قبل الموضوع الأمومي ، مما يشير إلى نجاح عملية التعاطف ، أما في حالة فشل عملية التعاطف فإن ذلك ينجح

عنه عقدة أوديبية مرضية وفي هذه الحالة يتحول الحب اللاجنسي إلى صورة من النشاط الجنسي الفادح". (Daniel Morehead, 1999: 347 – 350)

" وكما أشرنا سابقاً فإن وصف فرويد للنمو النفسي الجنسي لدى الإناث أثار العديد من الشكوك والخلافات ، هذا بالإضافة إلى تعاقب حسد القضيب Penis envy ، وحصر الخصاء في دخول الفتاة العقدة الأوديبية، والتحول من البظر إلى المهبل ، ودور الإحساسات المهبلية السابقة على مرحلة البلوغ، ومن جانب آخر فإن هناك بعض الشكوك وذلك فيما يتعلق بأهمية تخيلات الضرب Beating fantasy في النمو النفسي لدى الفتيات". (Lester H. Friedman, 1985: 570 – 571)

" هانحن نجد أنفسنا أمام الأخيولة الأنثوية الشهيرة التي خصص لها فرويد كل مقالة المعنون "ضرب الطفل"، ومعلوم أن فرويد يدرس في هذا المقال عن طريق تحليل حالات من النساء بصفة خاصة والأخيولة الطفلية الشائعة، حيث تخيلت البنت الصغيرة أولاً أنها ترى طفلاً آخر غير محدد الهوية ، وهو يعاني الضرب، الأمر الذي كان يرضى غيرتها من أخ أو أخت مناقسين، ثم أحلت نفسها محل الغريم فتخيلت إنها هي التي تعاني الضرب ، وأن الأب هو الذي يضربها، هذه الأخيولة الأخيرة هي التي كان يصاحبها الاستمنااء في الطفولة.

إن الحلقة الثانية من الأخيولة ونعني الأخيولة المركزية الوسطى: إنني مضروب من الأب ، وهي المشتركة بين الجنسين بنفس الصورة، فقد ظلت في أغلب الأحوال لاشعورية بفعل تثبيت وشعور بالإثم سلبيين مسرفي الشدة، التحليل وحده هو الذي أتاح بطريقة لا تدع مجال للشك الكشف عن هذه الأخيولة المركزية". (ماري بونايرت ، 1969 : 179 – 180)

" لقد استخدم فرويد Freud اصطلاح تخيل الضرب beating fantasy ، وذلك لإيضاح الدوافع الكامنة وراءه، وما يتبع ذلك من تحولات نفسية تلك التي

نادراً ما تم تناولها بشكل حاسم في الكتابات التحليلية، ويعد هذا الأمر مثيراً، حيث أن تخیلات الضرب تكون موجودة في حياة كل شخص دون استثناء ، هذا بالإضافة إلى الدور الذي تلعبه تخیلات الضرب في تشكيل الأنا الأعلى super ego لدى الإناث ، ولقد وصف فرويد ثلاثة مظاهر لتخیلات الضرب:

1- المظهر الأول : بداية تخیيل الضرب Beating fantasy وهو يعتمد أكثر على المحتوى الشعوري.

2- المظهر الثاني : يعتمد هذا المظهر بدرجة أكبر على مشاعر الذنب المرتبطة بالرغبات الجنسية المحرمة المتخه نحو الأب ، وهكذا فإن فعل الاتصال الجنسي يخبر من خلال التخیيل (أنا أصبحت مضروبة بواسطة أبي) وهكذا فإن الفتاة تخضع مازوخيتهما لسادية الأب.

3- المظهر الثالث: في هذه المرحلة يكون تخیيل الضرب متضمن على :  
أ- الحب.

ب- التمزيق للأعضاء التناسلية.

ويكون ذلك متزامن مع العقاب على الرغبات الجنسية المحرمة الموجه نحو المحارم.

ومن ثم يمكننا التوصل إلى استنتاج مؤداه : إن أهمية تخیلات الضرب تكمن في كل من الصراعات الأوديبية الموجبة والعقاب على الرغبات الجنسية المحرمة.

هذا ويقترح ماير Mayer أن مخاوف الخصاء لدى الإناث تحدث من خلال اقتران مشاعر الذنب بالرغبات الجنسية المحرمة، وخصوصاً العقاب المروع على الرغبات الجنسية الأوديبية الموجه بشكل مباشر نحو الأب ، إن وظيفة مثل هذه للتخیلات لدى الإنثى هي تعيين الأم في موضع المعاقب على الدراما الأوديبية، يعد ذلك مكافئ لوظيفة التخیلات ومن ثم فإن مخاوف الخصاء لدى كل من الجنسين تعد مثيرة ومحفزة للتوحد Identification أما لتحريمات الوالدية وقمع الرغبات

الأوديبية، وما يتبع ذلك من تشكيل الأنا الأعلى، فالأم تشكل قانون الأوديب  
Oedipus law لدى الفتاة، على حين أن الأب يقوم بنفس الأمر لدى الذكر.

إن توحد الفتاة بالأم خلال المرحلة الأوديبية يأخذ سبيلين:

1- الإحساس بالذنب يجعلها تتوحد بمظاهر العدوان الحقيقية والمتخيلة لدى الأم، أو  
بأي رجل آخر يشبه الأب، ويكون لذلك أهمية، وذلك فيما يتعلق بالمظاهر  
الأنثوية لدى الأم، وذلك عندما تدرك الأم كإمرأة ظافرة أو منتصرة.

2- التوحد مع الأم العدوانية القائمة بفعل الخشاء، ويصبح ذلك أحد مظاهر الأنا  
العليا فيما بعد.

إن دور التخيل الذي يلعب بواسطة الأم العدوانية المعاقبة يتلاءم مع مدى  
تخيل الفتاة لنفسها على أنها المنتصرة أوديبياً، هذا بالإضافة إلى أنها تخبر الأب  
على أنه مشترك بشكل أو بآخر في تخيلاتها ورغبتها اللاشعورية المحرمة، وفي  
مثل هذه الحالة فإن استمماج الأم المعاقبة يشكل النواة الأخلاقية للأنا الأعلى لدى  
الفتاة. (Puthf – Lax, without year: 455 – 467)

وفي هذه الحالة (استمماج الأم المعاقبة) فإنها تشكل النواة الأخلاقية للأنا  
الأعلى، الأمر الذي يدفعها إلى ارتكاب الأخطاء من أجل أن تستشعر العقاب مرة  
أخرى.

هذا وقد استنتج رليمان **Rleeman** أن فرويد يكرر دوماً تأكيداً على أن  
بعض الإناث يقلعن عن الاستمناج الذكري بالبطر، ويتحولن إلى الأنوثة، وذلك  
تحت تأثير صدمة قلق الخشاء، وما يتبع ذلك من إحساس بالدونية **Inferiority**،  
ويستطرد رليمان قائلاً: إن كل من حسد القضيب وعقدة الخشاء يلعبان دور  
جوهري في بلوغ الفتيات المرحلة الأوديبية، أما فيما يتعلق بالتحول من البطر إلى  
المهبل لا يتحقق عند فرويد إلا قبل بلوغ مرحلة المراهقة، إن إقلاع الفتيات  
الصغيرات عن الرغبة في القضيب واستبدالها بالرغبة في الأطفال سيدفعها إلى  
تغيير موضوعها الجنسي، وذلك قبل بلوغها العقدة الأوديبية السوية.

لقد كانت استبصارات فرويد عن العقدة الأوديبية تتسم بالعمومية حيث أنها اشتملت على سيكولوجية الإناث، حيث أنهم كن يتشابهن مع الذكور في الموقف الثلاثي ، والذي يفترض أن الأنثى تحب أبيها وتتنافس مع أمها وتظهر لديها رغبة في التخلص منها، ومع ذلك فإن العلاقة الثلاثية لدى الإناث ليست مجرد انعكاس مرأوي لما يحدث لدى الذكور، حيث أنه يتولد عن تلك الخصائص الأنثوية الفريدة إدراك الفروق الجنسية، وذلك فيما يتعلق بالعلاقة بالموضوع والدفعات المستخدمة والاعتبارات الاجتماعية، إنه من المهم خلال علاقة الأنثى بأمها واكتشافها لدورها الأنثوي تحديد الدور الذي تلعبه تلك للعلاقة خلال النمو، والحل الذي يؤول إليه الموقف الأوديبى، حيث أن الشق الموجب من الموقف الأوديبى يتطلب من الفتاة على أن تبقى على علاقتها بأمها ولكنه في نفس الوقت تتنافس معها".  
(Deanna Holtzman and Nancy Kulish, 2000: 1473 – 1417)

مما سبق يمكن التوصل إلى الاستنتاجات التالية :-

- 1- إن تطور الشعور بالذات في المرحلة القمية المتأخرة يؤدي إلى تكوين علاقة بالأم كموضوع في صورة متعددة الجوانب، فمن جانب نجد أن الذات تزداد وعياً بنفسها من حيث هي صاحبة الرغبة القائمة بالفعل والسلوك ، وهذا بدوره يكون سبب يؤدي إلى إدراك موضوع الرغبة وهو الأم.
- 2- خلال تدريب الطفل على عملية النظافة إذا لم تكن الأم متفهمة لعجز طفلها عن ضبط مخارجه فإن ذلك من المحتمل أن يؤدي إلى اضطرابات في الشخصية عندما يصل الطفل إلى ما بعد مرحلة البلوغ.
- 3- في بداية المرحلة القضيبية تتجه الفتاة ببطء نحو الأم، والذي تعتقد أنه قضيب تريد أن تكون لها دون غيرها، إلا أنها عندما تترك الفروق التشريحية بين الجنسين فحسبما تكون استجابتها لخصائصها يكون نمطها الأنثوي.

لقد كان لدى فرويد وجهات نظر متناقضة في رؤية كل من الأنا الأعلى والأنا المثالي **Ideal ego** ، فمن جانب كان يعتقد أنهما بناء متكامل، ومن جانب آخر كان يعتقد أنهما متميزان عن بعضهما البعض ، ولقد قدم لنا فرويد الأنا الأعلى في وصف كلاسيكي على أنه تال للمرحلة الأوديبية (وريت الأوديب) وما يصاحبها من مشاعر المخاوف تلك التي ينسبها قلق الخشاء ، هذا ولقد درست كلاين المرحلة المبكرة من تكوين الأنا الأعلى مع ملاحظة خصائص القسوة والصرامة .

(Antonin Ferro, 2002: 977) .

ووفقاً لتايسون **Tyson** فإن الذي يسهم في تشكيل الأنا الأعلى لدى الإناث بشكل دال هو رغبة الفتاة في إرضاء موضوع الحب المؤمئل لنفس الجنس والاحتفاظ بحبه ، إن تقدير الفتاة لذاتها يعتمد على مدى نجاحها في أن تصبح مثل الأم في المظهر الخارجي ، مما يشكل التوحد بالأم والتوحد بالأنشطة الأنثوية، إن الإناث يطورن إجساسهن بالنقّة والنرجسية من خلال تقييم الدور الأنثوي، ومن ثم فإن توحد الفتاة بالأم يعد أساس الأنا المثالي، إلا أن هذا لا يعني أن الأنا المثالي يستبعد التخيلات المؤمثلة للأب والآخرين، ويشير بيرنستون **Bernstein** إلى أن الأنا الأعلى لدى الإناث يعمل على احتواء الأوامر والوصايا ، وأن الفتيات يصبحن غاضبات إذا وجدن صعوبة في أمثلة أمهاتهن .

(Dianne Elise, 1997: 506)

هذا ولقد أكد أرنولد روث **Arnold Roth** على أهمية الأنا الأعلى وذلك من خلال تتبعه لنظرية فرويد، حيث لاحظ في تقديم فرويد لمفهوم الأنا الأعلى أنه عرض لبعض الأفكار اللاشعورية والمتمثلة في الشعور بالذنب والرغبة في العقاب، وكيف أنه من الممكن أن تقضي هذه المشاعر إلى وجود أبنية عصابية متمثلة فيما يقابل الشعور بالإثم من مشاعر. اكتئابية، كما أن الشعور بالإثم من الممكن أن يكون مؤثرا على رفض الوالدين واستكثارهم لبعض أنماط التفكير المتضمنة في مرحلة

الطفولة، هذا ولقد أشار جراي Gray إلى أن الأنا الأعلى دفاع نشط يهتم بكل من الإباحة والتحرير ، هذا ولقد تناول برينر Brinier مفهوم الأنا الأعلى بشكل تقليدي وذلك من خلال الحل الوسط الذي سوف يكون عليه الموقف الأوديبى، وذلك من خلال وبواسطة توحد الطفل بالقوانين الأخلاقية الوالدية وكنتيجة مترتبة على مثل هذا للتوحد تصبح هذه الأخلاقيات جزءا لا يتجزأ من شخصية الفرد، إن مثل هذه القوة الداخلية من الممكن أن تقضي إلى الشعور بالإثم والعقاب الذاتي وذلك نتيجة للخوف من استنكار الوالدين ورفضهم لبعض أنماط التفكير المتضمنة في مرحلة الطفولة ومن ثم ثأرهم وانتقامهم، ولقد أكد برينير على أن تخيلات العقاب الذاتي والسلوك المدمر للذات والشعور بالإثم ليست بالظواهر البسيطة الناجمة عن نشاط قوى خاصة، ولكن على الأحرى يمكن اعتبارها حلا وسطا تشكل كنتيجة مترتبة على الصراعات التي أنت إلى ظهور مشاعر البغضاء والكراهية المرتبطة بالرغبات الجنسية والعدوانية في الطفولة المبكرة، هذا ويؤكد هولمز Holmes على أنه عندما يصبح الشعور بالإثم غير محتمل فإن ذلك يدفع بعض المرضى للبحث عن أساليب وقائية تتمثل في :

للبحث عن الاستحسان الرقيق والحنون أو عن اللوم والتحرير، أو أنه يلجأ في أحيان أخرى إلى استخدام أساليب مازوخية Masochism، ويعتبر ذلك عوضاً عن الوظائف الفعلية للأنا الأعلى ، ومضلاً عن ذلك فإنه من خلال تحليل الجوانب الأخلاقية والسلوكيات المعاقبة للذات ، فقد اتضح أن ذلك يعد حلا وسطا ينشأ من الصراعات، ومن ثم يمكن اعتبار أن الرغبة الفجة في العقاب تكشف عن أنا أعلى قاسى0 (Arnold Roth, 1998: 885 – 888)

هذا ويتفق جراي Gray مع برينر وذلك فيما يتعلق بان الأنا الأعلى يعد حلا وسطا، والذي يتحول من خلاله أنا الطفل الفج غير الناضج إلى دفاع داخلي

يتم من خلاله التخفف من حدة صراع الدفقات العدوانية، حيث أن تشكيل الأنا الأعلى يعتمد في المقام الأول كما يرى جراي على الاستجابة الدفاعية للأنا ego حيال الرغبات والدوافع الغريزية .

(Lameence N. Lerenson, 1998: 848 – 851)

إن الأنا العليا تدخل بعض التعقيد على الصورة ، فالصراع الأنا ضد الهي يمكن صياغته بصورة أرق في بعض الأعصاب الأنا + الأنا العليا ضد الهي ، وفي أعصاب أخرى : الأنا ضد الهي + الأنا العليا ، فالأنا العليا متى قامت تصبح مسئولة إلى حد كبير عن تقرير أية الإفراغات مباحة وأيتها محرمة، إن الأنا الطاردة تعمل تحت إمرة الأنا العليا، وفي كل حالة لا يكون الباعث على الدفاع مجرد القلق البسيط بل مشاعر الإثم ، و تصدق الصيغة الأنا + الأنا العليا ضد الهي، ومن ناحية أخرى نجد في عدد كبير من الأعصاب أن الأنا تدافع عن نفسها ضد مشاعر الإثم، فكل ميكانيزمات (طرق) الدفاع التي تستخدم في العادة ضد الغرائز يمكن أيضا ان توجه ضد مضادات الغرائز التي تتولد في الأنا العليا ، و مشاعر الإثم المطرودة يكمن بدورها أن تنفذ من خلال الدفاعات في صورة محرقة شأنها في ذلك شأن الغرائز .

(أتوفينخيل ج 2 ، 2006 : 34)

والمأثور أن الأنا الأعلى تعديل للأنا باعتناق أساليب الكبت التي يمر بها الفرد أثناء تطوره وبيئته نشاطه في حالة الصراع مع الأنا بإنماء انفعالات تتعلق بالوجدان الخلقي ولاسيما وجدان الإثم، وبعض المواقف التي توجد في حالات السواء مثل ملاحظة الذات وانتقاد الذات والتحریم وتأخذ في بعض الأمراض العصابية (الوسواس القهري) صورة تبلغ من الخطورة بحيث أن قلق الضمير يجعل الحياة لا تطاق ، ويتكون الأنا الأعلى بتمص الطفل للصورة المثالية للأب، وفي الحالات السوية يكون الأب المتمص هو الأب المماثل جنسياً. وإذا لم يكتمل نمو الأنا الأعلى اكتمال صحيح ، فإنه يحتفظ بتركيب مشوهة يتسم بمنطق فج ، فنرى الأنا الأعلى يعامل الأنا مثلما يعامل الأب القاسي ابنه .

(دانيل لاجاش ، 1975 : 63 – 64)

مما سبق يتبين ان تطور الأنا الأعلى يمر بأربع مراحل :-

- 1- الشعور بالالذة ( التخلي عن اللذة من أجل إرضاء الوالدين ).
- 2- الإقلاع عن تحقيق الرغبة والطواعية لما يطلبه الوالدين من الطفل حتى يحتفظ بحبيهما.

3- الاستدخال لما يرفضه الآباء وذلك من خلال التوحد ببعض ما يطلبه الأب إبان مرحلة ما قبل الأوديب.

4- الضمير الداخلي والقبول الداخلي لأنواع الخطر والعقوبات التي يفرضها الوالدان والبيئة في مجموعها، وذلك لضمان علاقة اجتماعية داخل فئة معينة أو مجموعة أو وسط بعينه. (نيفين زيور ، رشاد كفاي ، 1985 : 7)

ومن أهم التفسيرات التي قدمها فرويد للسلوك الإجرامي تتمثل في أن المجرم يعاني من حاجة ملحة للعقاب لكي يتخلص من مشاعر الذنب التي نشأت من المشاعر المدمرة للمرحلة الأوديبيّة أثناء الطفولة ، فالجرائم ترتكب من أجل نيل العقاب الذي يجعل المجرم قادرا على التخلص من مشاعر الذنب التي عانى منها فترات طويلة، وهكذا يتجه الفرد إلى ارتكاب الجريمة لكي ينال العقاب المقرر له بالقانون ، وهذا هو كل ما يصبوا إليه المجرم وينشده إذ هو يسعى إلى عقاب نفسه وإيلامها ليخفف عنها وطأة عقدة الذنب التي تلازمه، والتي لم يجد لها وسيلة أخرى لحلها إلا السلوك الإجرامي. (محمد شحاته ربيع و أخرون ، 1994 : 113)

هذا ونستطيع ان نجمل خصائص الانحراف لدى فرويد في عدة أبعاد رئيسية هي :

- إخفاق تسوية الموقف الاوديبي و طغيان حصر الخصاء .
- إنعدام الكبت ( كما عليه الحال في الأذهان و ذلك عكس العصاب ).
- وجود إنشطار في الأنا الأعلى يجعلها قادرة في الوقت نفسه على ممارسة رقابة صارمة ملائمة لعدة من الغرائز عدا ما انحراف عن معيار السواء، و لا يتحدث

فرويد عن التثبيت سوى في حالات استمرارية و تواتر السلوك المنحرف ، كما أنه لا يحدث عن وجود نكوص سوى حينما يتسبب السلوك المنحرف في إحداث شرخ في السلوك العام للشخص المنحرف بالمقارنة بالسلوك الجنسي السوي ذي الطابع المتوازن لما سبق .  
(أمل هاشيت ، 2007 : 322 )

مما سبق يمكن للباحثة التوصل إلى الاستنتاج التالي :

يمثل الأنا الأعلى قطاع الضوابط والتحرير ؛ ولكن ماذا لو لم يدرك الطفل عند نهاية الأوديب استحالة أخذه مكان الوالد من نفس الجنس ؟ ، وبالتالي فإن تعلقه بوالده من الجنس المغاير لم يفرغ من طابعه الجنسي ، فينشأ الأنا المثالي بعيداً تماماً عن الواقع، وتتحول المثاليات إلى أهداف يصعب تحقيقها، والتي قد يكون لها طابع جنسي وعدواني، وفي هذه الحالة يقف الأنا الأعلى عاجزاً غير قادر على فعل أي شيء ، لقد أصبح يتمتع بمنطق يتسم بالفجاجة والقصور ، وفي أحيان أخرى يصبح الشعور بالإثم غير محتمل مما يجعل الفرد ميالاً بشكل مستمر للإنتقاد والعقاب، الأمر الذي ينجم عنه أنا أعلى قاسي عديم الشفقة.

### 3- التفسير الاجتماعي :

يرى كثير من الباحثين أن العوامل الاجتماعية لها أكبر الأثر في تهيئة الظروف التي تدفع بالأنثى إلى احتراف البغاء، وتتحصر أهم العوامل الاجتماعية فيما يلي :-

- 1- تفكك الأسرة وضعف الرقابة على صغارها.
- 2- سوء التنشئة الاجتماعية.
- 3- فساد البيئة الاجتماعية المباشرة كالحي الجيران.
- 4- اختلاط المعايير والقيم السائدة وفسادها.
- 5- الغواية المقصودة لإيجاد مورد مستديم لإشباع الطلب القائم من قبل الذكور على البغايا .  
(سامية الساعاتي ، 2005 : 222 - 223 )

هذا وقد أوضحت مابل أليوت أن للأسرة تأثيراً على حياة أبنائها، وقد ثبت من خلال العديد من الدراسات أن مرتكبي الجرائم ما هم إلا نتاج فكري للتفكك الأسري والانحلال الخلقي للوالدين وعدم قدرتهما على تحقيق توافق مُرضٍ مع القواعد والقوانين التي يفرضها المجتمع ، ويرى كل من سعد المغربي وأحمد الليثي أن التفكك العائلي يدفع الفرد إلى طريق الجريمة ، وهذا التفكك من وجهة نظرهما يرجع إلى أسباب شتى منها الوضع الاقتصادي السيء للأسرة وما يؤدي إليه من عدم الشعور بالأمن ، وتعرض أفرادها لمختلف الخبرات والتجارب القاسية المؤلمة ، كذلك موت أحد الوالدين أو كليهما أو انفصالهما بالهجر أو الطلاق ، وما ينتج عنه من ابتعاد الطفل كلياً عن أسرته لدى بعض الأقارب أو في بعض المؤسسات ، وأيضاً إهمال الطفل والتحلل من المسؤولية وأساليب التربية الخاطئة والتي تتسم بالقسوة الزائدة أو اللين أو التآرجح بينهما. (نجية إسحق، 1988 : 48)

والأسرة التي يعيش جميع أفرادها على اختلاف أعمارهم ذكورا وإناثا في حجرة واحدة ، هذه الأسر لا تستطيع أن تحتفظ في معاملاتها بالحد الأدنى اللائق من السلوك الأخلاقي، وهنا تتعرض أطفالها للإطلاع المبكر على العلاقات الجنسية ، فتشغل أذهانهم بها دون فهم موضوعي لحقيقتها، بل وينزلقون إلى الممارسة المبكرة لألوان مختلفة من النشاط الجنسي كالاستمناء والممارسة مع المحارم، فضلاً عن تخيلاتهم العقلية التي تساعد على وقوعهم في مشاكل واضطرابات جنسية ونفسية تؤثر على سلوكهم العام فيما بعد. (سعد المغربي ، 1960 : 144)

وتكاد تتفق الآراء السوسولوجية المعاصرة على أن احترام البغاء يرتبط بالعوامل التالية :-

1- وجود مرحلة مباشرة سابقة على الاحتراف تعاني فيها الفتاة من الوحدة والعزلة الاجتماعية.

2- تأثيرات البيئة والأصدقاء ومن هؤلاء الصديقات بغايا يغرین الفتاة الجديدة على أن البغاء حرفة مقبولة.

3- تأثير الظروف الاقتصادية مثل مواجهة مواقف للحاجة المادية أو تصور احتراف البغاء على أنه لزيادة الدخل.

4- تأثير الأصول الأسرية التي تفتقر العلاقات بين أفرادها إلى الألفة والحب والعلاقات الحميمة حيث يتعرض الفتاة في طفولتها لخبرات جنسية.

5- الخواص الشخصية كالمزاج وتصور الذات. (محمد عارف ، 1986 : 47)

ومن ثم فإنه إذا تواجد الشخص في محيط إجتماعي فاسد، وتعرض لتربية وإعداد غير سليمين ، وتفكك أسرى وضعف الرقابة على الصغار، وإنحطاط القيم والمعايير الاخلاقية فإن ذلك سوف يؤدي إلى وجود خلل في البناء النفسي، واضطراب في الشخصية، مما يؤدي بشكل أو بآخر إلى إحتراف البغاء ، أو أى شكل آخر من اشكال السلوك الجانح أو الإجرامي، أو السلوك المضاد للمجتمع وذلك كرد فعل لمثل هذه الظروف التي عاصرها في مراحل سابقة 0

### ثانيا : التطور التاريخي للبغاء :-

" يدل تتبع الأصول الأولى للسلوك الجنسي للإنسان على أن انقلابات حادة قد طرأت عليه ، بالإضافة إلى تحريفات مختلفة وتعميمات عديدة قد جدت عليه ، فرغم اختلاف الآراء حول الإباحة الجنسية في العصور الأولى من المدنية ، فإن الرأي يميل إلى أن النشاط الجنسي للإنسان لم يكن في فجر إنسانيته على هذا القدر من الصرامة ، ولا هذا المستوى من التنظيم، ولا هذا الشكل من الدقة ، لقد احتاج الإنسان إلى عدة آلاف من السنين لينتقل من حيوانيته إلى بشريته ، ومن وحشيته إلى إنسانيته ، وصاحب انتقاله هذا ارتقاء في نشاطه الجنسي أو إذا أردنا الحيدة ، تغيير في سلوكه الجنسي ، ويدخل الإنسان عصر تطوره الثاني- عصر البربرية -

وقد حدث تطور مهم في حياته الجنسية ، إلا وهو تكوين أول شكل من أشكال العائلة ، وتطبيق أول مبادئ تحديد العلاقات الجنسية.

ولقد ارتبط ظهور التكوينات الاجتماعية البشرية الأولى، وظهور الدين كأحدى قوى الضبط الاجتماعي، وكأحدى نتائج الضبط الاجتماعي أيضاً ، ففي العصر الحجري الحديث (النيوليتي) وجد نظامان اجتماعيان أساسيان هما النظام الأمومي وكان يشيع في المناطق الصالحة للإنتاج الزراعي البدائي، والنظام الأبوي وكان يشيع في مناطق الرعي.

وامتزج النظامان لظروف طبيعية مرت بالأرض في تلك الفترة أدت إلى هجرات جماعية كبيرة، وبذا ظهر أول نوع من التقديس للمرأة الإلهة، والرجل الإله، وقولم هذه الديانات هو عملية الإخصاب وما ارتبط بها من معتقدات خرافية جعلتها منحة من الإله للمرأة للخصبة، ويتطور هذه المعتقدات أصبح فض البكارة احتفالاً مقدساً تمنح الفتاة فيه نفسها لمن منحه الإله قوة الإخصاب وقدسية الجنس، ولم تكن تحصل الفتاة على اكتمال أنوثتها إلا بمنحها نفسها لمثل هذا الشخص فيحق لها بعد ذلك الزواج.

وقد تطورت طقوس إزالة البكارة عبر الأجيال الأولى ، فتتأقص قدر الأهمية المقننة للشخص المقدس (الكاهن)، لتزيد أهمية المكان المقدس الذي تزال فيه البكارة (المعبد) ، وبهذا التحول بدأ النشاط الجنسي. يأخذ شكلاً جديداً ليتحول جانب من النشاط الجنسي ليصبح فعلاً مقدساً وبذرة لأول أشكال البغاء.

فقد أدى تراجع احتفال إزالة البكارة إلى احتجاب العذارى في المعابد لممارسة البغاء في إطار من القدسية، كجزء من تأهيلهم للزواج، وفي فترة احتجاب المراهقات في المعابد كانت وظيفتهن الترفيه عن الكهنة من جانب،

ومضاجعة الحجاج من جانب آخر، وذلك نظير أجر يكون حقاً لخزانة المعبد ،  
وكانت النظرة لهذه الخاديات محاطة باحترام البغايا للمقدسات".  
(أحمد فائق ، 2001 : 365 - 367)

" وفي الثقافة اليونانية القديمة كان الجماع Copulation يتم في أماكن  
العبادات ، والتي كانت تلقي كثير من الاحترام والتقدير، إلا أنه في مثل هذه  
المجتمعات كان ينظر للبغاء على أنه جزء جوهري من عبادات الآلهة، وكان ذلك  
يعد تعبير قوي عن اتحاد كل من الجنس والدين، وقد امتد مثل هذا الموضوع إلى  
أماكن آسيا ، غرب أفريقيا ، جنوب الهند.

وقد كان هناك نوعين من البغاء المقدس أو البغاء الكنسي إن جاز التعبير:  
1- النوع الأول: كن النساء يمارسن البغاء كفعل أساسي ، ثم يتزوجن بعد ذلك  
بالشكل المألوف المعتاد.

2- النوع الثاني: عندما تكبرس النساء للخدمة في الكنائس والمعابد كبغي مقدس.  
ولقد كان لدى البابليون عادات مخزية إلى حد ما ، فعندما تُولد المرأة وتبلغ  
تذهب إلى فينوس إله الحب وتجلس في الفناء، وتعاشر الغرباء ، وبعض الأغنياء،  
الموسرين الذين كانوا يأبون أن يعاشروا الآخرين أو يمتزجوا معهم، فكانوا يذهبون  
للفناء ويتكربون من خلال المشاهدة والحضور، وبعد ذلك يأخذون موضعهم ، إلا  
أن مجموعة كبيرة منهم كانوا يعاملون هؤلاء الفتيات معاملة القديسين، حيث أنهن  
كانوا يضعن على صدورهن إكليلاً من الزهور، ولقد كان هناك حشد كبير مجموعة  
تذهب، ومجموعة تأتي.

لقد كانت النساء تمر على هؤلاء الرجال ليختاروا من بينهن ، ولم يكن يُسمح  
للمرأة التي تذهب مع ذلك الرجل أن تعود إلى منزلها إلى أن يرمي عليها ذلك  
الرجل الغريب قطعة من النقود الفضية، ثم يصطحبها معه إلى وراء الأراضي  
المقدسة لدى ميليتا Mellette، ولا يمكن أن تُرفض هذه العملة الفضية حيث أنها

كانت تعد مثل هذه الرمية مقدّمة ، وكانت للنساء اللاتي يتمتّعن بالجمال يعدن إلى متازلهن بسرعة ، أما للنساء الأخريات القبيحات فكن يمكنن فترة طويلة ما بين 3 إلى 4 سنوات حتى يفين بالحقوق المطلوبة منهن في المعابد.

وفي شعوب أمريكا للقديمة فقد ظهر للعيان نطاق من عهد البغاء قبل الزواج، أما عن الشعائر والطقوس المتعلقة بذلك الموضوع في فارس، فقد كان الأرمانين يلقونها بمزيد من الفخر ، حيث أن للكنايس كانت تخصص خدماتها للرقيق من الإناث والذكور ، ولم يكن ذلك بالشئ الجديد ولكن الشئ الجديد هو أن أكثر رجال القبلية شهرة كانوا يكرسوا بناتهن للعمل في الكنيسة وهن عذارى، وقد جرى العرف أن تصبح بغيا للكنيسة لفترة طويلة، وبعد ذلك تُقّم للزواج، ولم يكن أحد يزدرى أن يعيش مع مثل هذه المرأة كزوجة.

وقد أعطيت تفسيرات متعددة للبغاء اللديني المقدس ومن أهم هذه التفسيرات، إن النساء اللاتي يقمن عذريتهن كقربان إنما تحاكي به سلوك الآلهة ، هذا بالإضافة إلى أنهن كن يمارسن للطقوس التي يحاولن من خلالها أن يثبتن أن الأراضي لا تزال مثمرة وأن الأرحام لا تزال مثمرة.

(Fernand Henr iques, Without Year: 21 – 28)

" ومن ثم يمكن للتوصل إلى نتيجة مؤداها وهي: أن اصطلاح البغاء المقدس لم يعد بالاصطلاح الملائم، فقد أشار للتاريخ السابق إلى ظهور الإسرائيليون كأناس مستقلين، وقد كانت هناك موافقة بسيطة على مثل هذا الموضوع طبيعة ونشوء.

وقد قدم ريتشارد لونيسون **Richard Lowenson** وجهة نظرة عن هذا الموضوع، فقد أشار إلى أن مثل هذا الموضوع قد نشأ نتيجة لحاجة الذكور لأرض حرة ، يستطيعون أن يشبعوا رغبتهم الجنسية فيها دونما الالتزام بحقوق وواجبات ، والحقيقة إن البغايا كن يعملن في خدمة الإلهة، وقد اعتبروا نتيجة لهذه الفعلة مقدسات دينياً.

هذا وقد قدم لنا هاري بنجامين Benjamin Harry كتابة عن البغاء والفضيلة، ويعد مثل هذا الكتاب واحد من أفضل الكتب في هذا الموضوع، وهذا وقد أشار جولدن بيرج Golden Berg إلى أن هناك دافعية لتحديد عما إذا كان الفعل بغائي أم لا ؟ ، ومن ثم فإن مثل ذلك الموضوع يستحق اهتمام وعناية جادين، إن مثل هذه المسألة تهدف لحسم وتحديد الجنس الاسمي الممتاز، إن البغاء كما يعرفه الغرب الآن لا يوجد فحسب نتيجة للحاجة إليه، ولكن كذلك لنمو وازدهار الحياة.

وقد أشار فرازر Frazer في كتابة الغصن الذهبي إلى إن النساء في العهد القديم كن يُكرهن على تسليم أنفسهن للغرباء وذلك قبل الزواج، ولم يكن ينظر إلى ذلك على أنه شهوة ولهو وعريضة، ولكن كان ينظر إليه على أنه مهمة دينية مقدسة تتجز من خلال الخدمة المقدمة للإلهة الأم المقدسة، وكان ذلك يتحقق في غرب آسيا". (Martin Sey Mouk, 1969: 6 – 8)

" ولم تكن مصر القديمة بمنأى عن هذا البغاء المقدس الذي عم حضارات العالم ، وقد ظل بها حتى عهد الرومان حيث كانت المعابد تشتمل على نساء يمارسن الدعارة، وكان هذا مورد رسمياً معترف به".

(نجية إسحق ، 1984 : 45)

" وظلت منازل البغايا تؤدي وظيفتها الهامة للمجتمع في العصور الوسطى ، وفي بداية انتشار المسيحية في أوروبا كان هناك بقايا صلة دينية بين البغاء والكنيسة، وظل البغاء طوال فترة العصور الوسطى جزءاً من الحياة الاجتماعية، وفي سنة 1414 حين جاء الإمبراطور سيجموند بجيشه في زيارة لبيرن بسويسرا فتحت أبواب منازل البغايا على مصراعيها له ولجنوده كنوع من الحفاوة ، وقد وقف الإمبراطور في حفل عام شكر أصحاب السلطة في بيرن على حسن ضيافتهم، وفي القرن الثامن عشر حين عرف ذلك النظام المسمى الآن بالبوليس ، بدأت منازل البغايا (كتطور طبيعي) تخضع لنظام البوليس ، ثم خضعت للقوانين

التي كانت تضعها المجتمعات المختلفة لتنظيم البغاء والإشراف عليه طبياً (حتى لا تنتقل الأمراض التناسلية إلى الرجال)، وأيضاً من أجل تحصيل ضرائب تأخذها الحكومة من البغايا.

وحيثما اشتد خطر البغاء ، بسبب انتشار الأمراض التناسلية ، وبسبب ازدياد البغايا واضطراد تزايد أعدادهن ، وأصبحن يمثلن مشكلة اجتماعية واقتصادية وطبية ، مما اضطر بعض المجتمعات في أماكن مختلفة من العالم إلى إصدار قوانين بمنع البغاء تماماً، ولكن هذا المنع لم يحدث إلا على الورق فقط وظل البغاء يمارس كما كان ولكن في الخفاء". (نوال السعداوي ، 1990 : 290)

مما سبق يمكن التوصل إلى استنتاج مؤداه : وهو ارتباط البغاء بظهور التكوينات الاجتماعية البشرية الأولى وظهور الدين كإحدى قوى الضبط الاجتماعية ، حيث أن البغاء عند نشأته كان مقدساً ، ثم تحول بعد ذلك إلى ظاهرة اجتماعية حلت فيها الرغبة المطلقة في قضاء الشهوات محل العقيدة، وأصبح البغاء مطلوباً لذاته ، ولم يعد البغاء المقدس بالاصطلاح الملائم ، وأصبح البغاء يمثل مشكلة نفسية ، اجتماعية ، اقتصادية يقتضي علينا دراستها.

### ثالثاً : تطور الهوية الجنسية لدى الأنثى :-

" فيما مضى كان يعتقد أن الهوية الجنسية sexual identity تبدأ في الظهور في المرحلة القضيبية، أما الآن فلقد أصبح التفكير السائد أن الهوية الجنسية تتطور ابتداء من المرحلة الفمية، ويعتمد ذلك بشكل أو بآخر على العلاقة المبكرة فيما بين الأم وطفلها وأنماط التفاعلات القائمة بينهما ، وقد أشار كل من ميلر Mayer 1985 أوليسكر 1998 Olesker وبيرنستين 1990 Pernsten ، إلى أن خبرة الجسد ووظائفه يفضي أولاً إلى الأنا الجسدي body ego، ثم إلى الهوية الجنسية، والذي يعتبر مجال اهتمام الفكر التحليلي، ومن ثم يمكننا التوصل إلى لاستنتاج مؤداه أن الأنا الجسدي body ego يمكن أن يسهم بشكل أو بآخر في نمو

الهوية الجنسية لدى الأنثى، وتقليدياً فقد كان نمو الأنا الجسدي والهوية الجنسية يرتبط بشكل أساسي بالخبرات البصرية وما يترتب عليها من نتائج متمثلة في التخيل عندما يلاحظ الإناث والذكور وجود فروق تشريحية بين الجنسين، إلا أن الأنا الجسدي والهوية الجنسية لا يعتمدان بشكل مطلق على الدلائل المرئية فقط ولكن كذلك على خبرة ونشاط الجسد ذاته، الأمر الذي يقودنا إلى اصطلاح آخر وهو الأنوثة الأولية Primary femininity، هذا ويعرف تايسون Tyson الأنوثة الأولية على أنها توظيف النرجسية في الذات كأنثى.

إن الأنوثة الأولية تنشأ في لحظة مبكرة من المرحلة الفمية ولكي تصل كل أنثى إلى هذه المرحلة (الأنوثة الأولية) عليها أن تدرك أنها ليست كباقي الذكور وذلك فيما يتعلق بالطبيعة الجنسية.

دهذا وقد أكدت الدراسات الحديثة التي اهتمت بتتبع تطور الهوية الجنسية لدى الأنثى على ثلاثة عوامل أساسية :-

- 1- عمليات التوحد والعلاقات المبكرة بالموضوع.
- 2- الطريقة والتوقيت التي ينشأ من خلالها الأنا الأعلى وتطور وظائفه والذي يرتبط على وجه الخصوص بنشأة الأنا المثالي لدى بعض الإناث.
- 3- التمثلات العقلية لمعرفة وظائف وبناء الجسد.

هذا وقد أوضح روليش Rulish في مقاله عن التمثلات الذهنية Mental representation للبطر clitoris ، كيف أن مثل هذه التمثلات من الممكن أن تتحقق من خلال تأثير الإحساسات الجسدية من خلال نشاط الطفل في الحمام والاستمناء، هذا بالإضافة إلى أنه تطرق إلى مناقشة الأحاسيس البظرية في مقابل الأحاسيس المهبلية ، ويعتقد العديد من الباحثين بوجود وعي لدى الإناث في هذه المرحلة بالمهبل ، الأمر الذي يعد عديم الأهمية لدى بعض الفتيات أن يتمثلن بشئ من الخواء الداخلي". (Richard Lasky, 2000: 1381 – 1383)

" ففي هذا التمثل للنقص ثمة شيء ما لا يطاق ، وتتجه الفتاة نحو أبيها غير أنه سيكون عليها فيما بعد أن تتخلى عن القضيب المشتبه لأبيها ، وهذا التخلي الجديد يصعب تحمله دون محاولة التعويض لأنه في اللحظة التي تدخل فيها البنت المرحلة الأوديبية تشرع في اشتهاؤ ولد من الأب ، إذ ينزلق ليبيدو البنت الصغيرة على هذا النحو نحو معاملة رمزية (قضيبي = ولد) وهكذا فإن الرغبة بولد من الأب تغدو بديل عن الفالوس الناقص ، ولكن لما كانت هذه الرغبة غير محققة فإن البنت تضع أقدامها على طريق الأنوثة، ويميل نشاطها إلى التراجع0

وهكذا فإن تطور الأنوثة لدى البنت في إطار النظرية الفرويدية يغدو الآن ممهداً دون أن تحيقه بقايا الرابط ما قبل الأوديبى بالأم والذي تم إخضاعه،والذي بوسعنا أن نتخيلها على هذا النحو :

قد استقر بها للمقام مكوره من الرحيل مستفذة من القطيعة التي تتلوها كل مرة قطيعة ، يحرض النقص فيها فكرة الشغل اليسوي، وسرعان ما تكتشف للحياكة، وما هي زي تحوك الغزل ثم تفكها ثم تحوكها من جديد منتظرة بصبر فارغ عودة الغائب، ولكن هل انتهى طوافها أخيراً ، هل حطت رحالها واستقر مقامها".  
(حورية عبد الواحد ، 2006 : 84 - 85)

" هذا وقد أشار بارنيت Barrent إلى أنه ليعد أمر عديم الأهمية لدى بعض الفتيات أن تتمثل بالمهبل ، حيث أنه يعد أمراً عديم الفائدة أن تتمثل بفتحه، أو إن جاز التعبير خواء داخلي، الأمر الذي دفعه إلى الإشارة إلى احتمالية وجود حصر الخصاء.

هذا ولقد لاحظ ماير وجود أفكار مقلقة ومزعجة لدى بعض الفتيات ، وذلك لأن المرحلة الأوديبية تتمثل في حصر الخصاء :

إن مثل هذه الفتحة تعرضها للخطر والفقدان ، وهي تتمنى أن تغلق هذه الفتحة وتصبح لدى الذكور.



للنفسية إن جاز التعبير ، وقد جرى العرف أنه عندما تصبح لدى الفتاة ردود فعل معقدة لكي لا تصبح ذكرا ، فإنها تكافح من أجل معرفة ما تمتلكه وما تفتقده ، ويعد ذلك هو بداية الطريق لظهور الأنوثة الأولية، حيث أن الفتاة تدرك أن هناك شئ مميز تفتقده ، وكذلك شئ ما يقع في حوزتها.

ومن ثم يمكننا القول بأن الأنوثة الأولية تعتمد على علاقة الفتاة بجسدها الفعلي وليس فقط ما تفتقده في ذلك الجسد".

(Elizabeth Lioyed Mayer, 17 – 25: 1995)

" إن الاهتمام بتحليل السنوات الستة الأولى لدى الإناث والتي تكون لها أكبر الأثر في اضطرابات الهوية الجنسية لديهن أظهرت أهمية العلاقة بالوالدين وخاصة العلاقة بالأم في مرحلة الطفولة والاتجاهات والرغبات المتجه نحو الجنس من حيث التنكير والتأنيث".

(Karen Gilmore, 39 – 40: 1995)

" إن الاهتمام بالنمو النفسي الجنسي لدى الإناث يبدأ عندما يتحدث فرويد عن تطور الليبيدو لدى كل من الجنسين ومسار تطور العقدة الأوديبية، إن توحد الفتاة بالأم الكاملة غير المجزأة يتحقق عندما تمتلك الفتاة القدرة على التمييز بين الذات والموضوع أو ما بين مرتبة النرجسية ومريته عشق الغير، إن توحد الفتاة الجنسي بأمها كموضوع أولى، وذلك إبان نهاية المرحلة الأوديبية يسهم في تطور الأنوثة الأولية.

بمعنى آخر :-

إن تقدير الفتاة لذاتها يعتمد على نجاحه في أن تصبح مثل الأم في المظهر الخارجي، مما يشكل للتوحد بالأم ويشكل أيضاً المشاركة في الأنشطة الأنثوية ، إلى هذا الحد فإن الإناث يطورون إحساسهن بالثقة والنرجسية وذلك عند تقييم الدور الأنثوي".

(Dianne Elise, PH.D., 513: 1997)